مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN–2536–0027

تقنيات الراوي في الرواية العربية المعاصرة
(رواية طشاري لأنعام كجه جي أنموذجا)

الباحثة سمراء جعفر عوفي
المشرف أ.د علي رضا محمد رضايي
جامعة طهران/مجمع الفارابي/قسم اللغة العربية

الملخص:
يتناول البحث (الراوي في رواية طشاري للروائية إنعام كجه جي)، الأمر الذي يستدعي الوقوف عند مفهوم الراوي في العمل الروائي السردي والتمثيل له كما جاء في متن الرواية ، فكل عمل فني يعكس بصمة مبدعه من خلال التقنيات الفنية والوسائل والأدوات التي يوظفها خلال ذلك ، والرواية لها عالمها الخاص الغني، لذلك كان تركيز البحث إلى جانب التناول لمفهوم الراوي والعرض له من خلال دوره الفعّال الذي يكشف عن ملابسات وظروف كثيرة تعيشها الشخصيات في إطار زمان ومكاني ، ما يستدعي بدوره التناول لأنواع الراوي الذي يفسّر دور السارد في عملية القص أيضاً، إذ تتنوّع أنماطه وأنواعه ضمن العمل الروائي الواحد بما يخدم أفكار ورؤى الكاتب، وإلى جانب ذلك كان التركيز على الوظائف التي يمكن أن يؤديها الراوي في تطور وتنامي الأحداث والوصول إلى الذروة في الرواية ، ذلك أنَّ الوظائف التي يمكن أن يؤديها متنوعة بتنوّع الفكرة أو الإيديولوجيا التي يعبّر عنها خلال ذلك.

Abstract:
The research deals with (the narrator in the novel Tashari by the novelist Inaam Kachaji), which requires considering the concept of the narrator in the narrative work of fiction and his representation as stated in the text of the novel. Every artistic work reflects a creative imprint through the artistic techniques, means and tools that he employs during it. The novel has its own rich world, so the focus of the research was in addition to dealing with the concept of the sublime and presenting it through its effective role, which reveals the many circumstances and circumstances that the characters live within the framework of time and place, which in turn calls for dealing with the types of narrator, which also explains the role of the narrator in the process of storytelling. Its styles and types vary within a single fictional work in a way that serves the ideas and visions of the writer. In addition to that, the focus was on the functions that the narrator can perform in the development and growth of events and reaching the climax in the novel, because the functions that he can perform are diverse according to the diversity of the idea or ideology that he expresses. about it during that.

المقدمة:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

تعدّ دراسة الراوي في النص الروائي من الميزات التي تظهر قدرة الروائي على تفسير علاقة الراوي بغيره من العناصر المتممة لعمله، حيث يعدُّ التركيز على الراوي من أقدم التقنيات الموظفة في مجال السرديات، حيث إنّ الراوي يروي أحياناً ويترك للشخصيات الكلام أحياناً أخرى، وبهذا فإنَّ صور الشخصيات وسلوكياتها وأفعالها تختبئ وراء صوت الراوي، لأنه "الشخص الذي يسرد الحكاية وهو من اختراع المؤلف وتصوّراته الخاصة ، وهو - أي المؤلف - هو الذي يختار له موقعاً يقرّ به من الحوادث، "الشخوص والعناصر المتداخلة في الحكاية كالزمان والمكان" (العيد، ١٩٩٠، ٩٠).

بمعنى إنَّ لدراسة عنصر (الراوي) ما لا يقلُّ أهمية عن عناصر السرد الأخرى من زمان ومكان وشخصيات وحدث، لذلك لا يمكن أن يتّضح لدينا دور الراوي ما لم نلمح تقاطعه مع العناصر السردية الاخرى، وفي العصر الحديث كان التركيز على الدور الذي تمارسه البنية السردية في تناول مفصّل لعناصر العمل الروائي، لأنَّ السرد "رسالة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل إليه، وقد تكون هذه الرسالة شفوية أو كتابية، والسرد حاضر في الأسطورة والخرافة والملحمة والتاريخ" (القاضي، ٢٠٠٩، ٢٨).

ومن هنا تأتي أهمية دراسة (الراوي) في العمل الروائي لتتّضح لدى القارئ ملامح التشابه والتكامل مع بقية عناصر السرد لإنجاح عملية القص والإخبار وفق التقنيات المتعددة التي يلجأ إليها الروائي في عمله المقدّم للقارئ.

أولاً: مفهوم الراوي

يشكّل حضور الراوي في عناصر السرد الروائي أهميته البارزة باعتباره هو ذلك "الشخص الذي يروي الحكاية أو يُخبر عنها ، سواء كانت حقيقية أو متخيّلة ، ولا يُشترط أن يكون اسماً متعيناً، فقد يتوارى خلف صوت أو ضمير يصوغ بوساطة المروي بما فيه من أحداث ووقائع" (لحمداني، ١٩٩١، ٤٥).

وإذا كان العمل الروائي هو عمل سردي يقوم على الخطاب، فأنَّ الراوي هو الوسيط الذي يقوم بالواسطة بين الشخصيات والمتلقي، وعلى ذلك فإنَّ الراوي يُعرّف على أنه هو "المرسل الذي يقوم بنقل الرواية إلى المروي له، أو القارئ (المستقبل) ، وهو شخصية من ورق، على حد تعبير بارت ، وهو لأنه كذلك وسيلة أو أداة تقنية يستخدمها الروائي (المؤلف) ليكشف بها عن عالم روايته" (يوسف، ٢٠١٥، ٣٩-٤٠).

وبما أنَّ عملية السرد تتوقف على ما يسرده الراوي، فقد تنوّعت طريقة السرد ما بين السرد الموضوعي والسرد الذاتي، ففي السرد الموضوعي لا تبرز (أنا) الراوي ، بل إنه يسرد الأحداث بحيث إنه يترك للقارئ الحرية في تأويل ما سيحدث في المواقف والأحداث، ومن مثاله ما جاء في رواية (طشاري) عن الراوي في ذلك:

"خلعت الكفوف البلاستيكية المعقّمة، وأزاحت قناني السبيرتو و أكياس القطن، وتركت وراءها سرير الفحص، الذي تتمدد عليه العواقر و الولّادات.. من يعرف هنا الدكتورة وردية؟.. " (كجه جي، ص ١٨)

فلجوء الراوي إلى السرد الموضوعي يكون من خلال عرض تطوّر الأحداث دون تدخل واضح منه ، فالراوي هو الذي يُحدد شكل الرواية من خلال الموقع الذي يحتله ضمن النسق السردي ، لأنه "يملك وسائل وإمكانات تجعله قادراً على تحريك العالم الروائي، فيكتسب بذلك سلطة التخييل لأن شخصيته تخييلية تمنح السرد للمتلقي" (بارت، ٢٠٠١، ٤٤)، أما السرد الذاتي فتظهر فيه (أناه) بشكل واضح، باعتبار أنّ الراوي يملك معلومات كافية عن المروي، وبذلك يعتمد على الضمائر، "حيث يهيمن أحياناً على عملية السرد، فيظهر في ضمير الأنا، أو يتراجع حضوره في ضمير الهو" (جينيت، ١٩٩٧، ٥٠).

حيث ينعكس بذلك حضوره في طريقة السرد من خلال ضمير المتكلم، ومن مثاله ما جاء عن الراوي:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

"أسعد في خروجها من البلد، أخيراً وأقلقني ما سيترتب عليه، ليس من المعتاد أن تخرج امرأة مثلها في الثمانين لكي تصبح لاجئة" (كجه جي، ٢٥-٢٦)

فالتحدث بضمير (الأنا) ما يدلُّ على المسافة الزمنية، وهي المسافة المتحولة في الشخصية "والضمير (الأنا) هو الضمير الذي تروي من خلاله الشخصية الروائية الواقعة في الزمن الحاضر الذي هو زمن السرد عن الأحداث والشخصيات التي تتطلع إلى الحدس الاستشرافي فيما تقوله، فضمير (الأنا) هو الأكثر التصاقاً بالشخصية الروائية يتراجع في كثير من المواقف السردية ليبرز ضمير الـ (هو)، ومن ثم ضمير المخاطب في بعض المشاهد الحوارية" (العيد، ١٩٨٦، ٢١).

ومن التقنيات التي يلجأ إليها الراوي ليعرض مراحل التسلسل للزمن السردي ما يكون في تقنية الاسترجاع، حيث يعدُّ "الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضوراً وتجلياً في النص الروائي، فهو ذاكرة النص، ومن خلاله يتحايل الروائي على تسلسل الزمن السردي، إذ ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعي الماضي بجميع مراحله و يوظفه في الحاضر.." (القصراوي، ٢٠٠٤، ١٩٢).

ومن مثاله ما جاء عن الراوي في ظل الاسترجاع:

"في مساء الرابع عشر من تموز سنة خمس وخمسين نزلت وردية اسكندر من القطار في محطة الديوانية وبيدها أمر إداري يفيد بتعيينها طبيبة في مستشفى المدينة" (كجه جي، ٣٠)

فالراوي يسترجع شيئاً من الأحداث في ظل الحاضر، لأنَّ السابق لهذا الحدث يروي عمل الدكتورة وتقاعدها وكبرها في السن، ليعود من خلال الاسترجاع إلى الماضي المتحقق.

لذلك فإنَّ ضرورة الاسترجاع هي دليل الراوي لتأكيد الحوار الذي تقيمه الشخصية بعد تذكّر واسترجاع جملة الأحداث الماضية، لتأتي دفقة الأسئلة بعد تذكّر سلسلة الأشياء اللاحقة لحدث التعيين، ومنه ما جاء عن الراوي:

"حسناً، لقد وصلت ، فمتى نعود؟
كم مضى عليك هنا؟
ستة أشهر
ستة؟ كيف تحملّت كل هذه المدة؟" (كجه جي، ٣٢-٣٣)

فيُحلّل الراوي الأحداث من الداخل، لأنه الراوي الحاضر الذي يعرف كل شيء، فهو راو كلي المعرفة ويراقب في الوقت نفسه الأحدث وتطور مجرياتها من الخارج، يترقبها، و يُلاحظ سرعة وتيرتها في تصاعد العقدة وانحدارها.

وإذا كان السارد هو الراوي، أي الشخص الذي يروي الحكاية أو يُخبر عنها سواء كانت حقيقية أم متخيلة، ولا يشترط فيه أن يكون اسماً معيناً، والراوي حسب ذلك مختلف عن الروائي الذي هو شخصية واقعية، لأنَّ الروائي هو الدي يصطنع العالم المتخيل الذي يعكس عمله السردي، "فالروائي لا يظهر ظهوراً مباشراً في بنية الرواية أو يجب ألا يظهر وإنما يستتر خلف قناع الراوي معبراً من خلاله عن مواقفه الفنية المختلفة" (يوسف، ٢٠١٥، ٤٠).

وقد عمل الراوي على هذه التقنية لتعليق مسار الرواية لفترة قد تطول أو تقصر، وقد حفلت الرواية بهذه التقنية التي تفسّر رغبة الراوي بالوقفة التي تخلق دلالات وراءها من أنه يريد الوصف، ومن مثالها ما جاء عن الراوي:

"كيف أعمل في مكان مثل هذا.. هل تقبل أن ينزل الأطفال وسط الميكروبات؟
يواش يواش دكتورة... هذي هي الإمكانيات" (كجه جي، ٤١)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وعلى ذلك، يمكن للراوي أن يكون داخل الرواية، ويتمثّل في إحدى شخصياتها ويُشارك في أحداثها، وهذا ما أكده ودلّ عليه عبد المالك مرتاض، حيث يقول "المؤلف يظلّ حاضراً في العمل الروائي، إذا المؤلف يتخذ له عدة أقنعة مختلفة في الكتابة الروائية تبعاً للتقنيات السردية التي يتبناها وتبعاً للضمائر التي يتبناها دون سواها، فهو حين يصطلح ضمير المتكلم في سرد عمله يتحول في الحقيقة إلى شخصية مركزية وإلى سارد، ولكن لا أحد من العقلاء ينزع عنه صفة المؤلف" (مرتاض، ١٩٩٨، ١٠٧).

ومن مثال هذا التوظيف عند الراوي ما جاء عن طريق (الأنا) الواضحة:

"ماما الحبيبة ، لم أشبع من صوتك في التلفون هذا الصباح ، تمنيت لو يظلّ الخط مفتوحاً بيننا طوال النهار لأحكي لك عن حياتي هنا.. أشعر بالذنب لأنَّ عملي في المستشفى يأخذني منهم طيلة الوقت ثم أتذكّر طفولتي وأقول لنفسي إنَّ عملك الطويل.. لم يجعل مني ابنة فاسدة.. كنت تعودين إلى البيت.. " (كجه جي، ٥٣-٥٤).

ومن التقنية التي يلجأ إليها الراوي التي تُحدّد خاصية الزمن الذي يندمج مع زمن الراوي ما يكون عن طريق الاستباق الذي يفسّر الاستشراف والتطلّع نحو ما يمكن تحققه في المستقبل القريب، ومن مثاله ما جاء على لسان الراوي:

"دموع وردية لا تنتظر حجة، تقف جاهزة عند المآقي وضحكات جرجس لم تعد تجلجل في الرّدهات، يتحرك غاضباً ويتصل بهذا وذاك من الكبار طالباً التوسّط لدى الوزير، وكان قائد الفرقة الأولى قد تلقّى، مثل الآخرين ، بطاقة دعوة... ثار وقال للعروس:

-ستتزوجين في الموعد المحدد ولو تطلّب الأمر تحريك الدبابات" (كجه جي، ١٤٠-١٤١)

فالحاجة إلى الاستشراف أو الاستباق ما يجعل من الراوي تلك القدرة على تحريك الأحداث بسرعة تتجاوز اللحظة الحاضرة، لأنَّ السياق لا يستدي الوقوف عند اللحظة الحاضرة ، بل يتطلّب طبيعة الاستشراف على أمل التحقق، بما يُحقق ارتياح الشخصيات كما نلاحظ في هذه النص، وما يُحقق مستوى الراوي في السرد فهو الرؤية، وأحياناً يكون غير عالم، فتحل محل الرؤية في الخارج، ومن حيث علم الراوي بهواجس الشخصية في شفائها وفرحها.

فمن المستحيل في أي عمل سردي غياب الراوي، فهو قد يكون "شخصية ذات هوية حقيقية، أي أنه ينتمي إلى العالم الحقيقي، وهذا ما نجده في القصة التي يرويها شخص حقيقي أو ذات هوية متخيلة عندما يحمل اسماً لكنه لا يحمل مسمّى حقيقي" (العمامي، ٢٠٠١، ١٣)

ثانياً: أنواع الراوي

تتعدد أنواع الراوي وذلك وفقاً لعدد من الاعتبارات السردية التي تشكّل خاصية السرد المتتابع للأحداث ، وقد يكون الراوي شخصية من شخصيات الرواية ، وقد يكون خارج السرد الذي تمارسه الشخصيات، أي يمكن عدّه عدسة تنقل المشاهد كما هي، ومن مثال ذلك ما جاء في صورة وصفية كأنها حقيقية بعيدة عن تدخّل الراوي في تغيير وصف الأحداث، حيث جاء في ذلك:

"كل شيء في الحياة ينمو ويزدهر، حتى الموت، حتى عمتي، أنظر إليها فأراها تتراجع في العمر و تقترض شيئاً من ألق الصبا بدل أن تتقدم في الشيخوخة ، كأن جسمها خفَّ منذ أن جاءت إلى باريس ووضعت رأسها على وسادة الطمأنينة، دبّت أطياف حمرة في خدّيها واستقر اللون الرمادي في شعرها" (كجه جي، ١٥٦).

هذه الصورة المروية للأحداث التي تعيشها الشخصية لا يميّز بين واقعيتها وتخيّلها، وكأنهما أصبحا شيئاً واحداً، لأنَّ الرواية في أغلبها عبارة عن هذا المزيج والخلط بين الصورتين الواقعية والمتخيلة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وقد يكون الراوي من النوع العليم بكل شيء في عالم الرواية "وهو يحول بين القرّاء والعالم الروائي، فلا يجعلهم يروون إلا ما يريهم هو إياه، ولا يعلمون إلا ما يريدهم أن يعلموه ، أما الشخصيات فتقوم بفعل الأحداث دون أن تعلم المصائر المجهولة التي تنتظرها، لأنها لا ترى إلا ما تقع عليه عيونها فقط، فهي مخلوقات محدودة العلم والخبرة، وأما الراوي فهو القوة الخارجة التي تكشف أمامها الحجب" (عزام، ٢٠٠٥، ٩٠).

ومنه ما جاء على لسان الراوي ما يعكس نوع الراوي العارف لأدق التفاصيل المشهدية:

"تدهشني رغبتها في العمل وفي أن تقود سيارة في شوارع باريس ، كأنَّ السياقة هنا أرفع من السياقة هناك ، إنجاز رياضي تسعى لإضافته إلى صفحتها، تركب معي وأتردد في أن أترك لها المقصود، نذهب إلى المرآب الواسع المفتوح أمام المجتمع التجاري.. تفرح مثل طفلة وهي تسوق وتلفّ بين صفوف السيارات المتوقفة" (كجه جي، ١٥٧).

فهذا الكلام يبدو أنه غير صادر عن شخصية مركزية في العمل، لذلك فإنَّ الراوي قد يتدخل في لحظات ومواقف مشهدية ليقول ويصف ما يجده مناسباً متقمصاً دور الشخصية في التصرّف والكلام الذي يصدر عنها، وهذا ما نجده في محطات من الرواية، فعندما نقرأ سلسلة الأحداث يتبين لنا أن هذه الشخصية ليست لها حرية التصرف، وانما هناك قوة دافعة هي التي تُحرّك سير العمل السردي وتسرد بدورها ما نجده مناسباً للسياق النصي في خط التطوّر الروائي.

وأكثر ما يبرز هذا النوع الحاضر للراوي ضمن ثنايا الرواية عندما يهيمن أناه ويحضر ضمير المتكلم الذي يعبّر من خلاله عن الأحداث المتعاقبة بسرعة:

"لم يغيّر مجيء عمتي من بغداد إيقاع حياتي المستقر لكنه بعثر رتابته... صارت حكاياتها القديمة فصلاً من حكاياتي الخاصة، قد يسبق ولاتي ولا يتوقف عند يومي الراهن ، إنها تؤرجحني بين ما فات وما سيأتي، تعيدني إلى أصلي وتضع لي عنواناً واضحاً.. أناديها عمة وتناديني عمّة.. " (كجه جي، ١٨٨-١٨٩).

حيث ينصبّ الراوي العليم بأحداث الرواية بدقة نفسه وصياً على الشخيصات من خلال تفاصيل ما يرويه، وبطريقة تسمح له بنقل حوارات الشخصيات الداخلية فيطلعنا على حديثها مع ذاتها الذي يمكننا من الوقوف على حالتها النفسية واكتشاف أفكارها ورصد صراعاتها الداخلية ، وفي المقطع السابق يتوضّح لنا نفسية الشخصية في صراعها مع حاضرها وماضيها، وكأنه انعكاس لنفس الراوي فيما يعكس ما يؤرّقه ويشكّل هواجسه في شيء منها في كافة الذكريات التي تحضر في لحظة حاضرة تمر في مخيلته ، فعيش الزمن الماضي في ظل الحاضر.

يعلن الراوي العليم من خلال تركيزه على رصد استقبال (وردية) لقدرها المحتوم مخبراً عن توجّسها وخيبتها:

"لكن النصيب نصب ، قدر يلاحقها ويتغلّب عليها، دائماً كانت أقدارها أقوى منها لكنها ، وهي تستسلم ، كانت تتكيف مع ما تكره وتحاول أن تتقبله" (كجه جي، ١٠٦)

أفاد الراوي من هيمنة الجملة الفعلية كما نلاحظ ، ليخلق مشهداً حيوياً متحركاً بمستوى تنازلي من ملاحقة القدر إلى تقبل الواقع ، موازياً بذلك بين الصيغة الفعلية وسيكولوجية الشخصية ونمط تفكيرها الذي يتنازل ويتكيف ، منتقلة من فرادة العقل الحر إلى كينونة مقيدة ومنضبطة بشرط وإرادة الراوي .

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

أفاد الراوي العليم بملكته اللغوية وموقعه السردي الذي يجيز له صمت الشخصيات في حوارها منجزاً بذلك رؤية تفسيرية مفعمة بإيدلوجيا المؤلف الضمني ، ففي زيارة الدكتورة (وردية) للعلوية (شذرة) لتشرب الشاي الذي لا يضاهيه في جودته ونكهته أي شاي آخر، ومنه:

"- علوية ما السر في شايك ؟

تضحك المرأة المبروكة كاشفة عن سنين ذهبن فتغور غمّازاتها عميقاً في وجنتيها

- إنه شاي العباس يا دكتورة

والعباس أبو راس الحار ليس غريباً عليها" (كجه جي، ٨٦).

عن طريق تدخل الراوي فقد عرفنا (شذرة) المباركة بوصفها امرأة تنتسب إلى أهل البيت، فقد كشف الراوي في اقتحامه عادات الناس وتقاليدهم ونمطهم ضمن مذهب معين ، لأن (شذرة) من بيئة اجتماعية لها قيمة رفيعة.

وقد يكون الراوي من النوع المشارك، فيكون سارداً أو شخصية من العالم التخييلي في الوقت نفسه، يُشارك في الأحداث التي يرويها ، ويتفاعل ويتحاور مع الشخصيات ويقدمها وينقل أقوالها وحواراتها ويسرد الأحداث بصوته، ويصف الفضاء الخارجي وينفعل به، ومن أمثلة ذلك:

"لقد استولت على عقله، عينان داكنتان وكفشة من شعر مموّج طويل، حتى أنا أحببتها وتعوّدت وجودها عندنا، وعندما بدأت تتغيّب لأيام طوّال لم أفكر في السؤال عنها .. حتى صرت مثل أهل هذه البلاد، أتذمّر وأتأفف وأنتقد ولا يرضيني شيء" (كجه جي، ١٩٠).

يكشف لنا هذا النص عن الدور الذي يمثّله الراوي من حيث كونه فاعلاً ذاتياً، لأنه يحكي عن ذاته، و يعبّر عن رؤية جوانية ذاتية ، ذلك أنَّ السرد "هو الكيفية التي تُروى بها القصة عن طريق القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات ، بعضها متعلّق بالراوي والمروي له ، والبعض الآخر متعلّق بالقصة" (لحمداني، ٢٠٠٠، ٤٥).

إلا أنَّ الراوي في بعض المواضع عندما يقص لا يتكلم بصوته، ولكنه يفوّض راوياً تخييلياً يأخذ على عاتقه عملية القص ويتوجه إلى مستمع تخيّلي أيضاً يقابله في هذا العالم، فالروائي يتقمص سلاح الشخصية التي تقوم بعملية القص، "وقد يكون هذا الراوي غير ظاهر في النص القصصي، وقد يكون شخصية من شخصيات الرواية ، فلا بدَّ من التمييز بين الراوي والكاتب، فالروائي هو خالق العالم التخييلي، وهو الذي اختار الأحداث والشخصيات والبدايات والنهايات، كما اختار الراوي ، لكنه لا يظهر ظهوراً مباشراً في النص القصصي، أمّا الراوي فهو أسلوب تقديم المادة القصصية" (لحمداني، ٢٠٠٠، ٦٢).

كما أن الراوي المشارك يفصح عن دوره من خلال طريقة عرضه للسؤال:

"أغلقت بيتها وجاءت إلى هذا البلد الذي لا تعرف أهله ولا يعرفونها، من يعرف الدكتورة وردية؟" (كجه جي، ١٨)

يلجأ الراوي إلى المشاركة المفتوحة من خلال إثارة الأسئلة التي تنفتح على مدارات تفسيرية كثيرة ومنه أيضاً ما جاء في خطابها لابنة أخيها:

"إنَّ السفر لم يكن قدري لكني سرت إليه مثل المنوّمة ، لم يعد لي ، في ذلك البلد، ما يبقيني ولا من يمسكني، دفنت الزوج وأقفلت العيادة ورأيت السرسرية يحتلون الطرقات" (كجه جي، ٢٤).

ومن أمثلة الراوي التخيّلي:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

"تسرع الحوريات الإلكترونيات إليه ويغسلن عظامه بنقيع الزعفران ويسترن هزاله بسعف النخيل، إنه آت إلى لمّة أهله ... وسيكون للأحياء منهم حقّ بث الموسيقى والأغنيات التي يحب واختيار أنواع الأزهار المشتولة حول الضريح" (كجه جي، ٢٣٩)

فهذا السرد فيه من التخيّل الحدثي البعيد عن الأحداث الواقعية المعقولة، لأنَّ ما تم وصفه يُشعر القارئ بالغرابة والارتفاع عن العالم الواقعي إلى الآخر التخيّلي، وكل المواقف التي يسردها الراوي في غرابة تعود إلى طبيعة المكان الذي يحرّك هواجسه وينشّطها ويستحثه على فعل أشياء كثيرة ما كان يخطر على باله أن يفكر فيها، ولذلك فإنَّ الدور الأساسي الذي يقوم به الراوي يختلف وفقاً لطبيعة الحدث ، فقد يكون متمماً للحدث أو مشاركاً أصولياً في تكوينه، "فالراوي هو من صنع المؤلف ويكون موقعه داخل النص، علماً أنه قد يتماهى مع إحدى الشخصيات النصية، وقد يتقمّص دور المؤلف إلا أنه يعمل على إلغاء دوره وإخفاء معالم وجوده، فهو يقع وسيطاً بينهما بين المؤلف والشخصية وظيفته الكلام لتمييزه من غيره" (عبيد، ٢٠٠٨، ١٢٦).

وقد يكون الراوي من النوع الغريب عن الحكاية يعكس بدوره بعده عن أحداث العالم المحكي، حيث يظلّ الراوي مجهولاً لدى القارئ، ولا يمكن للمتلقي أن يعرف ملامح الراوي أو يستدل عليه من اعتبارات أو إشارات معينة، حيث تكون الحكاية هنا في سياقها محكية عن طريق ما يعزّزه حضور ضمير الغائب ، ومن أمثلة هذا الراوي ما جاء في الرواية بحضور الضمير الغائب:

"يُسلّم على الزملاء ويترك مبلغاً لفراش العيادة أو الكلية ويذهب ولا يعود (باجر)، ثم يسمعون أنه صار في الأردن وهجر بلاد ألف ويلة وويلة" (كجه جي، ٢٤٩)

ففي هذه النوع للراوي لا يمكننا أن نتعرّف على شيء من ملامح أو شخصية الراوي، ولا يمكننا أن نتعرّف على ما يجول في ذهنه من اعتبارات يضمّنها خلال العملية الحكائية السردية، إلا أنَّ اعتباره من النوع الغائب عن السرد المتتابع ما يلفت إلى انفتاح العمل الروائي على مجال القراءة المتعددة المفتوحة ، ذلك أنها تضع المتلقي أمام عدة خيارات يمكنه الانطلاق منها للمشاركة في إنتاج النص بطريقة مفسّرة لشيء من السرد وآليته الحركية.

والراوي كما قدّمنا إما أن يكون ضمنياً داخل الرواية، وهو متواجد في كل رواية مهما كان نوعها، ولأنه يقوم بتحريك الأحداث، وقد يكون الراوي أيضاً من النوع غير المعروض ، إلا أنَّ المعروض هو الشخصية والتي مهما بدت متخفية، فإنها تتداول الحكي ، و تعرض نفسها بمجرّد ما تتحدث بضمير المتكلم أو الجمع.

هذه الأنواع للراوي التي عرضنا لها في ظل ما جاء حاضراً في بنية العمل الروائي، فإنها تلخّص علاقة الراوي بالشخصية والتي تتخذ بدورها عدداً من الأوصاف، فقد يكون الراوي أكبر من الشخصية لأنها تحمل غنى معرفي أكثر مما تحمله الشخصية، وقد يكون مساوياً للشخصية يمثّل دورها و يعكس كافة انفعالاتها، وفي هذا النوع تتساوى القيمة المعرفية بينهما (الراوي، الشخصية)، وبدوره لا يمكن أن يفسّر شيئاً أو يُعلّل موقفاً قبل أن تقوم به الشخصيات، وقد يكون الراوي أقل معرفة من الشخصية، وحينها تقل معرفته، لأنه يقدّم الشخصية كما يراها ويسمعها دون أن يجهد نفسه في التوغّل في صفاتها ومعرفة دواخلها وأسرارها.

يعكس الراوي مصير الشخصيات من خلال ما وجده في المقبرة الالكترونية كونها بديلاً عن تراب الوطن الحقيقي الذي يضمهم بعد وفاتهم:

"كل الأحباب الذين استدعاهم من أجلها حضروا وشكّلوا بقبورهم سوراً يحوطها، يمتص قلقها وهواجسها، ماذا يمكن أن يحصل لها أكثر من الانضمام لهم واجتماع شملها مع العزاز" (كجه جي، ١٠٩).

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

فقد استحال اللقاء بهم في عالم الواقع ، فكانت المقبرة الإلكترونية خير مكان يمنح (وردية) بعض الراحة، فاقترحت على (اسكندر) أن يضيف بعض النخلات على المقبرة.

وهذا الوصف جعل من الراوي التخييلي يبني عالماً فنتازياً والذي شيّده (إسكندر) بديلاً عن العالم الطشاري أو الشتات العراقي

"رأى نزلاء مقبرته ينتفضون عليه ، يقومون، الواحد بعد الآخر، يفركون أعينهم يحجبونها بأيديهم من شدة النور" (كجه جي، ٢٤٦).

يرسّخ الراوي الخطابية اللاواقعية في ظل الأزمة الكبيرة التي عصفت بالعراقيين:

"كل شيء فيه بالجملة، الأحزاب والطوائف وأفراد حراسة المسؤولين، سرقات بالمليارات ، وحتى الدكتاتور صار دكاترة بالجملة" (كجه جي، ٢٥٠).

ثالثاً: وظائف الراوي

هناك من يرى أنَّ الوظيفة التي يقوم بها الراوي، أو التي تُسند إليه أساساً تقع في عدد من الوظائف، فلا يقتصر عمله على وظيفة واحدة، ومن ذلك ما جاء عن (جيرار جينيت) في أنَّ "وظيفة الراوي تكون في خمس وظائف:

١- الوظيفة السردية
٢- الوظيفة الإيديولوجية
٣- وظيفة الإدارة
٤- وظيفة الوضع السردي
٥- الوظيفة الانتباهية أو التواصلية" (جينيت، ١٩٩٧، ٢٦٥).

إلا أنَّ ذلك لا يعني أنَّ الراوي مطلوب منه أن يؤدي هذه الوظائف مجتمعة، فلكل وظيفة من الوظائف السابقة سياقها المقامي في النص السردي بشكلها الخاص، فالوظيفة السردية والأخرى الإيديولوجية متضمّنة في كل عمل يقوم به ويؤديها سردياً، لأنَّ السرد متحقق والإيديولوجيا بدورها تتحقق من خلال جملة الأفكار والرؤى التي يجسدها الراوي في تحقق دوره السردي الماثل في رسم خط الرواية.

كما أنَّ من أكثر الوظائف التي يؤديها الراوي ما يُعرف خلال السرد بالوظيفة السردية، "والتي يقوم بها الراوي بتقديم مشاهد وصفية للأحداث و الطبيعة ، والأماكن والأشخاص دون أن يُعلم عن حضوره ، بل إنه يظل متخفياً، وكأنَّ المتلقي يُراقب مشهداً حقيقياً لا وجود للراوي فيه" (جينيت، ١٩٩٧، ٨٨).

وأمثلته كثيرة في الراوية مما قدمه الراوي من مشاهد وصفية متنوعة:

"يستيقظون في صباحات المنافي، ويهرعون إلى الشاشة قبل وضع قواري الشاي على النار، يطالعون الأخبار ويخزّنون المقالات والقصائد والأغاني والصور القديمة والمواقف التي تعكس شرفاً بائداً وشهامة ضاع زمنها، يقرؤن البريد المحمّل بالذخيرة العاطفية ويعيدون توجيه الشحنة إلى عناوين الأصدقاء و المعارف" (كجه جي، ٢٤٠).

فهذا النص يجسّد الوظيفة الوصفية التي يقوم بها الراوي في عرضه لتفاصيل حياتية دقيقة تنم عن قدرة الراوي على التقاط أحداث واقعية معيشية لغاية فنية يُقصَد إليها عند بناء العمل السردي.

وكأنَّ الراوي هو الذي يضع تفاصيل الحدث بما يستطيع أن يقدمه في هذه الملامح الوصفية في الانتقال من حدث لآخر، ومن وجهة أخرى ، فإنَّ الراوي على اختلاف أنماطه وأشكاله لا شكّ أنه يؤدي وظيفة السارد سواء أكان ظهوره مباشراً أو ضمنياً، حيث يمكن تحديد موقعه من خلال علاقته بمستوى السرد ، إذا كان منتسباً إلى المتن عُدَّ راوياً داخلياً، وإذا كان غير منتسب كان راوياً خارجيا، "هناك حالتان ، إما أن يكون

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

الراوي خارجاً عن نطاق الحكي ، أو أن يكون شخصية حكائية، موجودة داخل الحكي.. وإما أن يكون الراوي مجرّد شاهد متتبع لمسار الحكي لكنه لا يشارك في الأحداث، وإما أن يكون شخصية رئيسية في القصة" (لحمداني، ٢٠٠٠، ٤٦).

فقد رصد الراوي في رواية (طشاري) شخصية بطلته (الدكتورة وردية) في باريس عن طريق مشهد وصفي أضفى على النص بعداً دراماياً تمثيلياً في قوله:

"تدور الأزمنة في رأس وردية وهي متلفعة بوشاحها الصوفي ، تطالع الأفق الرمادي من النافذة وتفكر في ما كان ويكون ، تبحث عيناها عن بجعات البحيرة البعيدة ، فلا تراهن بسبب الغبش الشفيف ، إنَّ بصرها ما زال قوياً لكن سمعها يخزلها وركبتيها تتأرجحان مثل الرقاص تحت ثقل جسمها.. " (كجه جي، ١٢٨-١٢٩).

وأفاد الراوي من حركية الجملة الفعلية في نقل لحظة التأمل الداخلية إلى تجربة جماعية يُشارك فيها الجميع عن طريق حاسة البصر والتي وشمت النص ببعد سينمائي أسهم في الكشف عن جزء من كينونة الشخصية (الدكتورة وردية).

ومن الوظائف الأخرى التي يؤديها وظيفة (الحكي والإخبار)، وهو متعدد في نص الرواية، ومن مثالها ما جاء على لسان الراوي:

"أقف في باب الغرفة وابني في مكانه المعتاد، أمام الشاشة ، يقوم ويتطلّع بهلع إلى كلثوم وهي ترفع عن رأسها طاقية الصوف، اختفت الخصلات الجعداء التي كانت تتوّج جمالها ، يتلعثم الولد ويحاول التخفيف عنها ، يتبادلان بضع عبارات بالفرنسية، فلا تغيّر اللغة الأنيقة من ثقل الدقائق" (كجه جي، ٢٤٤).

فلهذه الوظيفة الكامنة في رصد الحكي والإخبار المتعدد ما يجعل من وظيفة القص تتمثل في "عالم القصة ويسرد الأعمال والأمر الذي يؤدي إلى ظهور خطاب سردي قائم على التوازن بين حدثين وفاعلين، كما أنه يؤدي وظيفة التواصل التي تتعلق بالعلاقة بين الراوي والمروي له، وربط الصلة بينهما ليشكّل الوظيفة الايديولوجية، "والتي تتعلّق بالخطاب التنويري أو الأخلاقي، على أنَّ الخطاب التنويري الذي يجسّده الراوي إذا زاد عن حدّه حطّم بناء الرواية ، وحوّلها إلى خطاب أخلاقي" (حماسن، ٢٠٠٧، ٦٥).

ومن مثال هذه الوظيفة الإيديولوجية ما جاء في ذلك:

"لا يلتقي الأقارب إلا في الجنازات ، النزهات غير مأمونة والمناطق مقسّمة والزيارات تبعث على القلق وحتى حضور القدّاس في الكنسية يمكن أن ينتهي بفاجعة ، لم تعد هناك نواد ولا حلقات دبكة ولا احتفالات برأس السنة وبطقوس درب الصليب وعيد السيدة وخضر الياس.." (كجه جي، ١٣١-١٣٢).

حيث تعكس الوظيفة الإيديولوجية تقنيات الرواية ولا سيما ما يكون في الحوار الخارجي، حيث يمكن أن تكون هذه الأصوات مصحوبة بكلمات الراوي، ومنه الحوار الذي دار بين (الدكتورة وردية) وابنة أخيها (سليمان) عبر التلفون كالاتي:

"عمة

- ها عمة !

- كيف الحال ؟

- سخام وزقنبوت ، هذا كل ما تمكّن قهرها أن يجود به من سباب" (كجه جي، ٣٨-٣٩)

إذ يعكس الراوي في المقطع الحواري المكثف حالة الوجع والاستلاب والقهر وضياع الحقوق، حيث تفصح وردية عن شخصية تشرّبت بالألم والامتهان اللذين أرغماها على هجرة الوطن، منفية في أقاصي العالم،

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد الثامن الثلاثون – تشرين الاول ٢٠٢٤– ربيع الآخر ١٤٤٦
ISSN-2536-0027

وبذلك فإنَّ الرواي استطاع من خلال رصد حالة الاستلاب أن يعكس خصائص الوظائف التي يقدمها ولا سيما ما يقدمه في الوظيفية الإيديولوجية ومنها:

"أصبح العراقيون بكل طوائفهم ، ليسوا بشراً ما دام العالم ينبذهم ويشيح بوجهه عن موتهم" (كجه جي، ٣٧).

فمن الملاحظ أنَّ هذا النص يعكس وظيفة ايديولوجية يقدمها الراوي انعكاساً لرؤية معينة يراها قد أخذت وتفشّت في المجتمع نتيجة لتغيّر النفوس عمّا كانت إليه وعرضه لما أصبحت عليه في الوقت الحاضر، وهي رؤيا وفكرة إيديولوجية تعين على تفسير وظيفة الراوي في معالجتها.

الخاتمة:

بإمكاننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج:

- شكّل حضور الراوي في رواية طشاري لإنعام كجه جي أبعاداً معرفية متنوعة من خلال علاقته مع العناصر الأخرى المتممة لآلية العمل السردي.
- إنّ مفهوم الراوي لا يمكن أن يكون واحداً وإن تعددت الاتجاهات التي قدّمت تعريفاً له، فمفهومه يبرز من خاصية كل عمل روائي وفق ما يقدّمه المنتج للعمل السردي،
- تعدّدت أنواع الراوي في رواية طشاري بما يعكس الغنى الوظيفي القائم على تفسير كل نوع يبرز حضوره ضمن الرواية والذي أوضح ضرورة ما يقوم به الراوي من معالجة لأفكار الشخصية وفق اعتبارات خاصة.
- إنّ الوظائف التي يمكن أن يؤديها الراوي تتعلق بالنوع الذي يُنسب إليه، إذ تعددت هذه الوظائف وتتلخص في مجملها في تفسير عملية الحكي والإخبار، ونقل الرؤى والأفكار التي تزخر بها الرواية.

المصادر والمراجع:

١. بناء الشخصية، جويدة حماسن، منشورات الأوراس، الجزائر، ٢٠٠٧.
٢. بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١.
٣. تقنيات الخطاب السردي بين السيرة الذاتية والرواية، يمنى العيد، مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٨٦.
٤. تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، يمنى العيد، دار الفارابي، ط١، ١٩٩٠.
٥. تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، آمنة يوسف، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٢، ٢٠١٥.
٦. جماليات التشكيل الروائي، محمد عبيد، دار الحوار، ط١، سوريا، ٢٠٠٨.
٧. خطاب الحكي، جيرار جينيت، ترجمة: محمد معتصم، الهيئة العامة للمطابع الأميرية، ط٢، ١٩٩٧.
٨. الدراسات والبحوث الإنسانية، عبد المنعم زكريا القاضي، ط١، ٢٠٠٩.
٩. رواية طشاري، إنعام كجه جي، دار الجديد، د.ت.
١٠. الزمن في الرواية العربية، مها القصراوي، دار فارس، ط١، بيروت، لبنان، ٢٠٠٤.
١١. شعرية الخطاب السردي، محمد عزام، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
١٢. في السرد العربي، محمد العمامي، دار محمد للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠١.
١٣. من البنيوية إلى الشعرية، رولان بارت، ترجمة: غسان السيد، دار نينوى، ط١، سوريا، ٢٠٠١.
١٤. نظرية الراوية، عبد الملك مرتاض، عالم المعرفة، ط١، الكويت، ١٩٩٨.